

بَابُ مَا جَاءَ فِي الاستِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:

. [٨٢]

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لَمَّا كَانَ نِسْبَةُ نَزُولِ الْمَطَرِ إِلَى النِّوَاءِ عَلَى وَجْهِ الْإِعْتِقَادِ - أَنَّ لَهُ تَأْثِيرًا فِي نَزُولِهِ - شَرَكَا أَكْبَرَ كَاعْتِقَادِ جَلْبِ النِّفْعِ أَوْ دَفْعِ الضَّرِّ فِي الْأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ، أَوْ شَرَكَا أَصْغَرَ إِنْ كَانَ لَا يُعْتَقَدُ أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابٌ لِنَزُولِ الْمَطَرِ نَاسِبٌ أَنْ يُعْقَدَ لَهُ الْمَصْنَفُ بَابًا فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلتَّحْذِيرِ مِنْهُ.

مَا جَاءَ: أَي: مِنْ الْوَعِيدِ.

فِي الْإِسْتِسْقَاءِ: أَي: طَلَبُ السَّقْيَا وَمَجِيءُ الْمَطَرِ.

بِالْأَنْوَاءِ: جَمْعُ نَوءٍ - وَهِيَ مَنَازِلُ الْقَمَرِ - وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنَزَلَةً يَنْزِلُ الْقَمَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَزَلَةً مِنْهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ نَجْمًا مَعْرُوفَةً الْمَطَالَعِ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ عَشَرَ يَوْمًا يَغِيبُ وَاحِدٌ مِنْهَا مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَيَطْلُعُ رَقِيبُهُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَتَنْقُضِي كُلُّهَا مَعَ انْقِضَاءِ السَّنَةِ الْقَمَرِيَّةِ، وَتَزَعُمُ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُ إِذَا غَابَ وَاحِدٌ مِنْهَا وَطَلَعَ رَقِيبُهُ يَكُونُ مَطَرٌ وَيَنْسَبُونَهُ إِلَى طُلُوعِ النِّجْمِ أَوْ غُرُوبِهِ وَيَقُولُونَ: مُطَرْنَا بِنَوءٍ كَذَا.

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ: أَي: تَجْعَلُونَ نَصِييَكُمْ - مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ

بإنزال المطر - التكذيب .

أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ : بنسبة النعم لغير الله مِنَ الكواكب فتقولون : مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا .

المعنى الإجمالي للآية : أَنَّ الله سبحانه وتعالى يعيبُ على المشركين كفرهم بنعمة الله بنسبة نزول المطر إلى النجم ، ويخبرُ أَنَّ هذا القول كذبٌ محضٌ ؛ لأنَّ نزول المطر إنما هو بفضلِ الله وتقديره ولا دخلَ فيه لمخلوقٍ .

مناسبة الآية للباب : أَنَّ الله سبحانه أنكرَ نسبة نزول المطر إلى غيره مِنَ النجوم والأنواء وسمَّاهُ كذباً .
ما يُستفادُ مِنَ الآية :

- ١ - إبطالُ نسبة نزول المطر إلى الأنواء .
- ٢ - أَنَّ نسبة نزول المطر إلى النوء كذبٌ .
- ٣ - وجوبُ شكرِ الله على نعمه ووجوبُ نسبة نزول المطر إليه تفضلاً منه وإحساناً .

* * *

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرَكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ» . وَقَالَ : «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» (١) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

أ- ترجمة أبي مالك : اسمه الحارث بن الحارث الشامي صحابي .
 مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : المراد بالجاهلية هنا ما قبل البعثة ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ ، وَكُلُّ مَا يَخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَهُوَ جَاهِلِيَّةٌ .
 لَا يَتْرَكُونَهُنَّ : أي : ستفعلها هذه الأمة إمَّا مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك .

الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ : أي : التعاضُّمُ عَلَى النَّاسِ بِالْآبَاءِ وَمَآثِرِهِمْ .
 وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ : أي : الْوَقُوعُ فِيهَا بِالْعَيْبِ وَالتَّنْقِصِ .
 وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ : أي : نِسْبَةُ السَّقْيَا وَمَجِيءُ الْمَطَرِ إِلَى النُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ .

وَالنِّيَاحَةُ : أي : رَفْعُ الصَّوْتِ وَالنَّدْبُ عَلَى الْمَيِّتِ .
 تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : تُبْعَثُ مِنْ قَبْرِهَا وَتُوقَفُ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤) .

سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ: أَي: ثوبٌ مِنْ نَحَاسٍ مَذَابٍ تَلَطَّخُ بِهِ فَيَصِيرُ كَالثَّوبِ.

دِرْعٌ: الدَّرْعُ: ثوبٌ يُنْسَجُ مِنْ حَدِيدٍ، يُلبَسُ فِي الحَرْبِ.
مِنْ جَرَبٍ: الجَرَبُ مَرَضٌ جَلْدِيٌّ.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبرُ النبي ﷺ أنه سيستمرُّ في الأُمّةِ شيءٌ مِنَ المعاصي التي كان يفعلُها الناسُ قَبْلَ البعْثَةِ، وذلك يتمثلُ في أربع خصالٍ هي: التعاضُّمُ بِالآبَاءِ مَعَ أَنَّهُ لَا شَرَفَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَتَنْقُصُ أَنْسَابَ النَّاسِ وَعِيْهَا، وَنِسْبَةُ نَزُولِ المَطَرِ إِلَى طُلُوعِ النُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ وَرَفْعُ الصَّوْتِ بالبكاءِ عَلَى المِيتِ وَنَدْبِهِ. ثم يبينُ الوعيدَ فِي حَقِّ الخِصْلَةِ الْآخِرَةِ بِأَنَّ مَنْ اسْتَمَرَ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَطَّخًا جِسْمُهُ بِالنَّحَاسِ الْمَذَابِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ كَالْقَمِيصِ، لِتَشْتَغَلَ بِهِ النَّارُ، وَتَلْتَصِقَ بِجِسْمِهِ وَتَتَنُّ رَائِحَتُهُ.

مناسبة الحديث للباب: أَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى تَحْرِيمِ الاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ، وَأَنَّهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ.
مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١ - تَحْرِيمُ الاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ، وَأَنَّهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ.
- ٢ - أَنَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ.
- ٣ - أَنَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَعَلِهِمْ فَهُوَ مَذْمُومٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.
- ٤ - مَنَعَ التَّشَبُّهِ بِالْجَاهِلِيَّةِ.
- ٥ - تَحْرِيمُ الْإِفْتِخَارِ بِالْأَحْسَابِ، وَأَنَّهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ.
- ٦ - تَحْرِيمُ الْوُقُوعِ فِي الْأَنْسَابِ بِذَمِّهَا وَتَنْقُصِهَا.
- ٧ - تَحْرِيمُ النِّيَاحَةِ وَبَيَانِ عَقُوبَتِهَا وَأَنَّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ.

- ٨ - أَنَّ التَّوْبَةَ تَكْفِرُ الذَّنْبَ وَإِنْ عَظُمَ .
٩ - أَنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ خِصَالِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ كُفْرُهُ .

* * *

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَتَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(١).

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نُوءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

ترجمة زيد بن خالد: هو الجهني المدني صحابي مشهور.
صَلَّى لَنَا: أَي: صَلَّى بِنَا، فَالْلَامُ بِمَعْنَى الْبَاءِ.
الْحَدِيثِيَّةُ: قَرْيَةٌ سَمِيَتْ بِبَثْرِ هُنَاكَ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ مَكَّةَ، تُسَمَّى الْآنَ الشَّمِيسِي.

إِثْرٌ: بِكَسْرِ الهمزة مَا يَعْقُبُ الشَّيْءَ.
سَمَاءٌ: مَطَرٌ سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَهِيَ كُلُّ مَا ارْتَفَعَ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦) ومسلم برقم (٧١).

مِنَ اللَّيْلِ : أي : كَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .
فَلَمَّا انْصَرَفَ : أي : التفتَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ الْمَرَادُ الْانْصِرَافَ
مِنَ الْمَكَانِ .

أَتَدْرُونَ ؟ : لَفْظُ اسْتِفْهَامٍ مَعْنَاهُ التَّنْبِيهُ .
مِنَ عِبَادِي : الْمَرَادُ الْعِبَادِيَّةُ الْعَامَّةُ .
وَكَاكِرٌ : أي الْكَفَرُ الْأَصْغَرُ .
مُطِرِنَا بَنَوْءَ كَذَا وَكَذَا : أي : نَسَبَ الْمَطَرَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ
الْمَنْزَلَ لَهُ هُوَ اللَّهُ .

صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا : أي : صَدَقَ سَحَابٌ وَمَطَرُ النِّجْمِ الْفُلَانِي .
فَلَا أَقْسَمُ : هَذَا قِسْمٌ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ .
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ : أي : مَطَالِعِ الْكَوَاكِبِ وَمَغَارِبِهَا عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِ
مِنَ الْمُفْسِّرِينَ .

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلْحَدِيثِ : يَذْكُرُ لَنَا هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مَا كَانَ
مِنْ إِرْشَادِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ ، بِمُنَاسَبَةِ نَزُولِ الْمَطَرِ ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ
يَقُولُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيُرْوَى ﷺ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ حِينَئِذٍ امْتَحَنَ النَّاسَ بِإِنْعَامِهِ
عَلَيْهِمْ بِإِنْزَالِ الْغَيْثِ الَّذِي فِيهِ حَيَاتُهُمْ ، انْقَسَمُوا إِلَى قَسَمَيْنِ : قَسَمٌ اعْتَرَفَ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَنَسَبَ النِّعْمَةَ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ . وَقَسَمٌ أَنْكَرَ فَضْلَ اللَّهِ
وَنَسَبَ النِّعْمَةَ إِلَى طُلُوعِ النُّجْمِ أَوْ غُرُوبِهِ وَسَمَّى عَمَلَهُ الْإِيمَانًا وَعَمَلَهُ
الْثَّانِي كُفْرًا .

وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا
أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ ﴿٧٥﴾ وَمَا بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي إِنْكَارِ نِسْبَةِ نَزُولِ الْمَطَرِ
إِلَى النُّجُومِ .

مناسبة الحديث للباب: أنَّ فيه تحريمَ نسبةِ المطرِ إلى النجمِ وتسميتهُ كُفراً وكذباً.

ما يُستفادُ من الحديث .

- ١ - تحريمُ نسبةِ نزولِ المطرِ إلى النجمِ وتسميتهُ كُفراً.
- ٢ - مشروعيةُ تعليمِ الناسِ وتنبيهِهِم على ما يخلُ بالعقيدة .
- ٣ - وجوبُ شكرِ اللهِ على النعمةِ، وأنَّه لا يجوزُ إضافَتَها إلى غيره .
- ٤ - إلقاءُ التعليمِ على طريقةِ السؤالِ والجوابِ؛ لأنَّه أوقعُ في النفسِ .
- ٥ - أنَّ من سئِلَ عمَّا لا يعلمُ فإنَّه يتوقَّفُ ويكلُّ العلمُ إلى عالمِهِ .
- ٦ - وصفُ اللهِ بالفضلِ والرحمةِ .
- ٧ - أنَّ من الكفرِ ما لا يخرجُ من الملةِ .

* * *

بَابُ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية .

تمام الآية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل دين الإنسان، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، نبه المصنف على ذلك بهذا الباب .
أنداداً: أمثالاً ونظراء .

يحبونهم كحب الله: أي: يساؤونهم بالله في المحبة والتعظيم .
والذين آمنوا أشد حبا لله: أي: من حب أصحاب الأنداد لله .
وقيل: من حب أصحاب الأنداد لأندادهم .

معنى الآية إجمالاً؛ يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا، وما لهم في الآخرة من العذاب، حيث جعلوا لله أمثالاً ونظراء من خلقه يساؤونهم بالله في المحبة والتعظيم . ويذكر سبحانه أن المؤمنين يخلصون المحبة لله كما يخلصون له سائر أنواع العباد .

ما يُستفاد من الآية:

- ١ - أن من اتَّخَذَ ندّاً تساوى محبته بمحبة الله فهو مشرك الشرك الأكبر .
- ٢ - أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً ولا ينفعه ذلك إلا بإخلاص المحبة لله .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

الآية كاملة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].
 عشيرتكم: أقرباؤكم مأخوذ من العشرة.
 اقترفتُموها: اكتسبتموها.
 كسادها: فوات وقت نفاقها ورواجها.
 ومساكن: منازل.
 ترضونها: تعجبكم الإقامة فيها.
 أحب إليكم: أي: إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

فترَبَّصُوا: أي: انتظروا ما يحلُّ بكم من عقابه.
 معنى الآية إجمالاً: أمر الله نبيه أن يتوعد مَنْ أحب هذه الأصناف فآثرها أو بعضها على حبِّ الله ورسوله وفعل ما أوجب الله عليه من الأعمال التي يحبُّها ويرضاها، كالهجرة والجهاد ونحو ذلك، فبدأ الله بالآباء والأبناء والإخوان وكذا الأصدقاء ونحوهم فمَنْ ادَّعى محبة الله وهو يقدِّم محبة هذه الأشياء على محبته فهو كاذبٌ ولينتظر العقوبة.

مناسبة الآية للباب: أنَّ فيها وجوب تقديم محبة الله ومحبة ما يحبُّه

اللهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَعْمَالِ عَلَى مَحَبَّةٍ مَا سِوَى ذَلِكَ .
مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ :

- ١ - وجوبُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ مَا يَحِبُّهُ .
- ٢ - وجوبُ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ .
- ٣ - الوعيدُ عَلَى مَنْ كَانَتْ هَذِهِ الثَّمَانِيَةُ أَوْ غَيْرُهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ .

* * *

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١) أَخْرَجَاهُ .

لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ : أي : الإيمانَ الكاملَ .
 حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ : بنصبِ أَحَبَّ خبرُ أَكُونَ .
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ : مِنْ عطفِ العامِّ على الخاصِّ .
 المعنى الإجماليُّ للحديث : يخبرُ ﷺ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُؤْمِنَ الإيمانَ الكاملَ الَّذِي تَبَرَّأَ بِهِ ذِمَّتُهُ وَيَسْتَحَقُّ بِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ حَتَّى يَقْدَمَ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى مَحَبَّةِ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَعَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ ؛ لِأَنَّ بِسَبَبِهِ ﷺ حُصُولَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْإِنْفَاقَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهَدْيِ ، وَمَحَبَّتُهُ ﷺ تَقْتَضِي طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَقْدِيمَ قَوْلِهِ عَلَى قَوْلِ كُلِّ مَخْلُوقٍ .

مَنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ : أَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى وَجوبِ تَقْدِيمِ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَأَنَّ تَحْقِيقَ الْإِيمَانِ مَشْرُوطٌ بِذَلِكَ .
 مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ :

- ١ - وَجوبُ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَقْدِيمِهَا عَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ .
- ٢ - أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ عَمَلُ قَلْبٍ وَقَدْ نَفَى الْإِيمَانُ عَمَّنْ لَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ ﷺ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا ذُكِرَ .
- ٣ - أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ .
- ٤ - أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ عَلَى صَاحِبِهِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (١٥) وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٤) .

وَلَهُمَا عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ
وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا
سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي
الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ» .
وفي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى . . .» إِلَى
آخِرِهِ^(١).

ولهما عنه: أي: وللبخاري ومسلم عن أنسٍ .
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ: أي: ثَلَاثُ خَصَالٍ مِنْ وَجَدْنِ فِيهِ . وَجَازَ
الابتداءُ بثَلَاثٍ؛ وإن كانت نكرة لأنها على نية الإضافة .
وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: لِمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ لَذَّةِ الْقَلْبِ وَنَعِيمِهِ
وَسُرُورِهِ .

أَحَبَّ إِلَيْهِ: مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ يَكُونُ .
مِمَّا سِوَاهُمَا: مِمَّا يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ كَالْوَلَدِ وَالْأَزْوَاجِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ .

أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ: الَّذِي يَعْتَقِدُ إِيْمَانَهُ وَعِبَادَتَهُ .
لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ: أي: لِأَجْلِ طَاعَةِ اللَّهِ .
أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ: أي: يَرْجِعُ إِلَيْهِ .
كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ: يَعْنِي: يَسْتَوِي عِنْدَهُ الْأُمْرَانِ الْإِلْقَاءُ فِي

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦) ومسلم برقم (٤٣) .

النارِ أو العودَةُ في الكفرِ .

وفي رواية: أي: للبخاريّ .

المعنى الإجماليُّ للحديث: يخبرُ ﷺ أَنَّ المسلمَ إذا توفَّرت فيه ثلاثُ خصالٍ هي: تقديمُ محبةِ الله ورسوله على محبة ما سواهُما من أهلٍ ومالٍ . ويحبُّ من يحبُّه من الناس من أجلِ إيمانه وطاعته لله لا لغرضٍ دنيويٍّ ويكرهُ الكفرَ كراهيةً متناهيةً بحيثُ يستوي عنده الإلقاءُ في النارِ والرجوعُ إليه . من توفَّرت هذه الخصال الثلاثُ فيه ذاقَ حلاوةَ الإيمانِ فيستلذُّ الطاعاتِ ويتحملُ المشقاتِ في رضا الله .

مناسبة الحديث للباب: أَنَّ فيه فضيلةً تقديم محبةِ الله ورسوله محمدٍ ﷺ على محبة ما سواهُما .

ما يُستَفَادُ من الحديث:

- ١ - فضيلةُ تقديم محبةِ الله ورسوله محمدٍ ﷺ على كُلِّ شيءٍ .
- ٢ - فضيلةُ المحبةِ في الله .
- ٣ - أَنَّ المؤمنينَ يحبُّونَ الله تعالى محبةً خالصةً .
- ٤ - أَنَّ مَنْ اتَّصَفَ بهذه الخصالِ الثلاثِ فهو أفضلُ ممن لم يتصفَ بِهَا ولو كان المتصفُ بِهَا كافرًا فأسلمَ أو كان مذنبًا فتَابَ من ذنبه .
- ٥ - مشروعيةُ بغضِ الكفرِ والكافرين ؛ لأنَّ من أبغضَ شيئاً أبغضَ مَنْ اتَّصَفَ بِهِ .

* * *

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ ،
وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ ، وَوَالَى فِي اللَّهِ ، وَعَادَى فِي اللَّهِ ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ
اللَّهِ بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ
حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُوَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ
الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا » ^(١) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] قَالَ : الْمَوَدَّةُ ^(٢) .

مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ : أَي : أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَجْلِ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ .
وَوَالَى فِي اللَّهِ : أَي : وَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرَتِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ
وَإِكْرَامِهِمْ .
وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ : أَي : أَبْغَضَ الْكَفَّارَ وَالْفَاسِقِينَ لِمَخَالَفَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ .
وَعَادَى فِي اللَّهِ : أَي : أَظْهَرَ الْعَدَاوَةَ لِلْكَفَّارِ بِالْفِعْلِ كَجِهَادِهِمْ
وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ .

وَلَايَةُ اللَّهِ : بَفَتْحِ الْوَاوِ تَوَلَّيَهُ لِعَبْدِهِ بِالنَّصْرَةِ وَالْمَحَبَّةِ .
طَعَمُ الْإِيمَانِ : ذَوْقُ الْإِيمَانِ وَلَذَّتُهُ وَالْفَرْحُ بِهِ .
مُوَاخَاةُ النَّاسِ : تَأَخِيهِمْ وَمَحَبَّةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ .
عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا : أَي : لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَأَحْبَبُوهَا وَأَحْبَبُوا لِأَجْلِهَا .

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (رقم ٣٥٣) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٧٢) وصححه ووافقه الذهبي .

وذلك: أي: المؤاخاة على أمر الدنيا.

لا يجدي على أهله شيئاً: لا ينفعهم أصلاً بل يضرهم.

المعنى الإجمالي للأثر: يحصر ابن عباس رضي الله عنهما الأسباب التي توجب محبة الله لعبده ونصرته له في محبة أولياء الله، وبغض أعدائه، وإظهار هذه المحبة وهذه العداوة علانيةً بمناصرة المؤمنين ومقاطعة المجرمين وجهادهم. ويذكر أنه لن يذوق الإيمان ويتلذذ بطعمه من لا يتصف بذلك وإن كثرت عبادته. ثم يذكر ابن عباس أن هذه القضية قد انعكست في وقته فصار الناس يتحابون ويباغضون من أجل الدنيا، وهذا لا ينفعهم بل يضرهم. ثم فسّر هذه الآية الكريمة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٦٦) بأن المراد بها أن المحبة التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم يوم القيامة وخانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض، لما كانت هذه المحبة في غير الله.

مناسبة الأثر للباب: أن فيه أن حصول محبة الله لعبده ونصرته له مشروطٌ بأمريّن:

أحدهما: محبة أولياء الله وبغض أعدائه بالقلب.

ثانيهما: إظهار محبة أولياء الله وبغض أعدائه بالفعل من مناصرة أوليائه وجهاد أعدائه.

د- ما يُستفاد من الأثر:

١ - بيان الأسباب التي تُنال بها محبة الله لعبده ونصرته لعبده.

٢ - وصف الله بالمحبة على ما يليق بجلاله.

٣ - مشروعية وفضيلة الحب في الله والبغض في الله، وأنه لا يُعني عنهما كثرة الأعمال الصالحة.

- ٤ - مشروعية مناصرة المؤمنين وإعانتهم، وبغض الكافرين وجهادهم.
- ٥ - بيان ثمرة الحب في الله والبغض في الله من ذوق طعم الإيمان والتلذذ به.
- ٦ - ذم الحب والبغض من أجل الدنيا وبيان سوء عاقبته.

* * *